

عبدالله ضوان

## أرى فرحاً

### في المدينة

### يسعى

### إلى شهيد

يا ملكات الجمال،  
ويا دهشة الحب،  
« لا وقت للموت »،  
إلى الرياح اللوآق تحمل من بذري جمرة للوصل  
فآتي...  
أجوب البلاد فتسقط جمهرة من شكوك،  
وتنمو بطيئاً،  
كما الصمت تنمو...  
ولا وقت للصمت،  
لا وقت للحزن،  
... يا حزن من يخلق الأمنيات؟؟  
تهلل فجر من العاشقات،

توالت عليّ الحروب على شكل خارطة للوطن  
أنا سيد المفردة:  
أنا سيد الجوع، جئت أعانق نجماً يسمى بلادي..  
جمعت هموم الخيام  
نثرت الساتين غيثاً من الشوق،  
ملت على الورد أعطيه عطراً  
فغنت حقول العصافير،  
... قالت: بلادي  
رأيت الصغار يجيئون من ليلة كالحدير  
وكنت صغيراً  
أنام على شوكة البرد،  
يا حلم،

اكتوين على العشق والنار،  
نحن النساء النجوم،  
نجيء لندعوك في واحة للعراك،  
وكنت وحيداً،  
وكانت كلاب المدائن تسعى ورائي.  
فللمت بعضي، وقلت أحاور،  
قال المحقق، يا ابن ال...؟  
تبسّمت،  
قال وتضحك.

ستبكي إذن،... فنسيت،  
رأيت على الأفق راقصة من حريق  
تداخلت بين المحقق والحلم،  
ينهال شيء ثقيل على وجنتي،  
فيبرق ضوء بعيني،  
أرى نجمة الظهر راقضة في الغيوم.  
ف حملت على جبل من نحاس،  
ل لوتني المدينة في ساعديها  
س سألت المحبين،  
ط طار الحمام المهاجر،  
ي ينثر الدم العذب من مقلي،  
ن نويت التهجد باسم العصافير.  
وجسمي غدا مثل حرف تشكّل في الشعر،  
بصرخ صوت المحقق،  
ماذا تقول؟... أحبّ بلادي.

وإني أحدد درباً جديداً  
ألمم حباً غزته الصحارى  
وأغلق جرحاً تفتت حتى احتوته البلاد،  
فخفت عليه من الامتلاء.  
وإني أخاف اقتلاع العناصر من حماة الوصل،  
أخاف التواصل بالهجر بين الحيام وبين الوطن.  
فجئت أرد العصافير نحو البلاد التي أفقدتني الهوية.

أنا العشب،  
أعشق صوت الصنوبر في هبة الريح،  
.. حين تعيد الطبيعة تشكيل أحزانها  
أنا قطرة الطلّ أنداح عند أشجار الضياء،  
ألخص تاريخ موت القمر.  
أنا ضجة الحرف حين انكسر.

رأيت المدائن ثكلى بعشاقها  
وكان المغنّون في زحمة الخلق يتلون أنشودة للصغار  
تجمع رف العصافير في دربنا

ونامت على التلّ عصفورة العشب،  
يا فقراء المدينة،  
من يعط عصفورة العشب أفراحها؟  
ومن يشرب الحلم؟  
من يخلق المستحيل؟  
تناهى إلى البحر صوت بعيد،  
أنا الأرض والآخرون سبايا،  
دعوت إلى القلب عصفورة العشب تسمع صوتي  
تهلّل وجهه على القمر العذب،  
كانت بلادي...

سأبكي على شجر طالع من دمي  
وأبكي بلاداً رماها التشتت بين مفاصل هذا الوطن،  
وما كنت تهرب،  
كنت تطارد عصفورة الماء،  
تخرج من شهوة النار والفقراء،  
تنازل هذا الجمال المشيع عن رهبة الحرب،  
صار وحيداً كزيتونة في التراب تسافر،  
وقالوا:

دماؤك كانت تفر من القلب مثل العصافير،  
ترسم خارطة للوطن.

وبيروت تستقبل الحزن مثل الأساطير.  
بيروت تحضن أحبابها  
تطاؤك كاللجة،  
انتفض الشعر والبحر والأغنيات،  
سئمت التطلع في الحزن،  
إن صغاراً يجيئون مثل الجنادب من كل خيمة.  
وكنت صغيراً،

وإن فقيراً تشقّ في جلده الرعب يأتي..  
وكنت فقيراً،  
وان بلاداً تلطّ على النار يوماً تبيء.  
وصرت بلاداً،

فلا بأس  
إني أرى حلماً يتشكّل،  
نهرأ يعود،  
شعوباً تسافر من حزنها  
ولا بأس،  
إني أرى فرحاً في المدينة يسعى.

عبد الله رضوان  
رابطة الكتاب الأردنيين